



بالرغم مما يقال عن المصادر المغربية - الأندلسية الوسيطة من كونها جافة وخالية من المعلومات غير السياسية، فإن توفر الرؤية الواضحة لدى الباحث وانفتاحه على مختلف أنواع المصادر وتوظيف محتوياتها بشكل دقيق وجيد، يجعله يكتشف معطيات جديدة تهم مواضيع اجتماعية واقتصادية وحتى طبيعية. وقد كان موضوع المناخ في الأندلس من هذه النوعية من المواضيع؛ فالحكم السابق الذكر يجعل الخوض فيه مستحيلاً، لكن تتبع بعض التفاصيل الدقيقة التي ترد في المصادر متناثرة وخارج مراقبة الكتاب وبفعل ميلهم نحو الغريب أحياناً، سمح ببعض الأخبار على قتلها. وقد اعتمدنا في دراسته على الأخبار المباشرة التي يوردها المؤرخون إضافة إلى مصدر بكر، ونقصد به ظاهرة الاستسقاء والصحو اللذان تقام لهما صلاة كلما عم الجفاف أو طالت فترة التغميم والأمطار. وبناء على المعطيات المتوفرة سنعمل على رسم صورة لمناخ الأندلس في ظل الحكم الأموي (138هـ/756م - 422هـ/1031م).

1- ملامح مناخية من خلال "صلاة الاستسقاء".

الاستسقاء من فعل استسقى الذي يعني طلب السقي، وصلاة الاستسقاء هي التي يقيمها المسلمون طلباً للغيث عند انقطاعه⁽¹⁾. وتشبه هذه الصلاة صلاة العيدين وقتاً وصلاة دون التكبير إلا الواجب، وتتكون من ركعتين جهريتين تعقبهما خطبتان بينهما جلوس، ويستقبل الإمام الناس في الخطبة الأولى والقبلة في الثانية، ويقلب ثوبه ويقلده الناس⁽²⁾. وقد أثارت هذه السنة خلافات كثيرة بين العامة والفقهاء حول كيفية قلب الثوب، حيث اختلفوا بين الأمام والخلف والظاهر والباطن والأعلى والأسفل⁽³⁾. ولم نتمكن من الحصول على خطب كاملة لمعرفة طبيعة المواضيع التي تتناولها، لكن المقتطفات المتوفرة تبين أنها تركز على تذكير الناس بذنوبهم لحد التقرير والتوبيخ وحثهم على التقوى والورع والاستغفار من الذنوب وترك البخل وإفشاء الصدقات⁽⁴⁾.

تتم الصلاة عادة في المصلى والمساجد أو هما معا⁽⁵⁾. وقد تم تنظيم هذه العبادة في الأندلس عبر مراحل. حيث بدأت بسيطة ولم تحترم حتى بعض السنن مثل سنة تحويل الأردية التي لم يشرع في ممارستها إلا في الثلث الأخير من القرن 2هـ/8م على يد الفقيه المالكي زياد بن عبد الرحمن شبطون (ت 194هـ/781م)⁽⁶⁾. وخلال القرن 4هـ/10م، نظمت بشكل دقيق ومركزي. فالخليفة هو الذي يرسل رسائل إلى العمال

في الأقاليم يأمرهم بإقامة الصلاة ويحدد وقتها و كيفية ذلك . وقد احتفظ ابن حيان برسالة الناصر سنة 317هـ/928م التي حددت الصلاة كما يلي: " وقد أمرنا الخطيب فيما قبلنا بالاستسقاء في المسجد الجامع يوم الجمعة والجمعة الثانية التي تليها إن أبطأت السقيا، والبروز يوم الإثنين بعدهما بجماعة المسلمين عندنا إلى مصلاهم، أو يأتي الله قبل ذلك بغيثه (...). فمر الخطيب بموضعك أن يحتمل على مثل ذلك ويأخذ به من قبله من المسلمين" (7). ويوضح النص أن الصلاة تتضمن الدعاء بطلب الغيث لجمعتين متتاليتين أثناء الخطبة، فإن لم ينزل يخرج الناس في الإثنين الموالي إلى الصلاة وذلك في العاصمة قرطبة وكل المدن والقرى في الأقاليم. وقد تكرر الصلاة مرات عديدة؛ ففي سنة 330هـ/940م استسقى الناس سبع مرات (8) وفي سنة 379-380هـ/989-990م عشر مرات (9)، حتى ينزل الغيث أو ييأس منه وهذه حالة نادرة ما دامت الصلاة تتوج بغيث قليل أو كثير في معظم الحالات.

يقود الصلاة صاحب الصلاة في معظم الحالات، و نظرا لكون قاضي الجماعة في قرطبة عادة ما يتحمل هذه المهمة، فإن من يؤمون الصلاة في العاصمة كانوا هم قضاة الجماعة. وقد يخرج الخلفاء عن القاعدة فيسندونها إلى فقهاء آخرين كما حصل سنة 302هـ/914م (10).

يستعد الأئمة لهذه الصلاة بطرق مختلفة تتم عن الورع والتقوى . فعندما طلب الناصر من منذر بن سعيد الاستسقاء عام 350هـ/960م صام أياما تنفلا وتقربا إلى الله (11)، أما محمد بن بيقى بن زرب سنة 379هـ فتصدق بصدقات كثيرة عن نفسه وعن خليفته (12). ولم يكن هذا ليحصل لولا الأهمية التي يعلقها الناس على من سيكون وسيطها بينهم وبين ربهم ، فالاعتقاد السائد هو أن نزول الغيث متعلق بتقوى وورع الإمام الذي صار بدوره يخاف على مكانته ولا يتنافس الصعداء إلا بعد نزوله. فمثلا لما صلى أحمد بن محمد بن زياد بالناس، سنة 274هـ/887م ، وسقوا تيمنوا به وأثنوا عليه (13)، أما محمد بن بيقى بن زرب (379هـ) فقد ذمته العامة لعدم نزول الغيث ونسبوا ذلك إلى ضعف ورعه بركونه إلى المنصور العامري وقبول ماله الحرام وهاجموه وكادوا يقتلونه لولا التجاؤه إلى مقبرة محصنة وحماية صاحب الشرطة له (14).

تتم الصلاة عادة في الشهور ما بين دجنبر وماي وهي ذات أهمية خاصة بالنسبة للناس كما سنبين فيما بعد، وقد يتحين بعض الأئمة وقت نشوء السحاب وقرب نزول الغيث لإقامتها تجنبا للفضيحة. وقد خلد الشاعر ابن الطراوة (ق5هـ/11م) ذلك فأنشد أبياتا

يسخر من قوم خرجوا للاستسقاء والنهار مغيم والرياح ينزل فلما برزوا للمصلى عاد الصحو⁽¹⁵⁾.

كانت للمتصوفة أدوار وطرق خاصة بهم. فقد كان التشفع بهم أثناء الصلاة أمراً مألوفاً عند المسلمين منذ عهد عمر بن الخطاب حين استشفع بالعباس عم الرسول أثناء الصلاة عام الرمادة⁽¹⁶⁾، وكان الأندلسيون فعلاً يمارسونه. فأحدهم يتوسل بالزاهد أيوب البلوطي في عهد عبد الرحمن الثاني⁽¹⁷⁾، وآخر بأبي العجنس الزاهد⁽¹⁸⁾، وآخر بأبي نصر الزاهد⁽¹⁹⁾، وآخر بآل البيت⁽²⁰⁾. وتوسل الناس أيضاً بقبور الأولياء كما كان يفعل بقبر يحيى بن يحيى الليثي⁽²¹⁾. لكن لما تهيكلت حركة التصوف حاولوا تجاوز الشكل التقليدي للاستسقاء بالافتقار على بعض الأدعية أو التضرع والبكاء أو النظر إلى السماء بعيون دامعة⁽²²⁾، إنهم يكتفون بالمعنى اللغوي للصلاة.

بعد دراسة الجانب الثقافي - الديني للاستسقاء سنعمل على كشف وجهه الطبيعي - المناخي. للأسف فمصادرنا وبالرغم من كثرة أخبارها عن هذه العبادة إلا أنها لم تحدد التواريخ بشكل دقيق أو حتى تقريبي إلا في خمسة عشر حالة تمتد ما بين 206 و 400هـ سنعمل على تفرغها في جدول وتحليلها.

1 - المعطيات المناخية في الأندلس من خلال
صلاة الاستسقاء

<u>المصدر</u>	<u>الاستجابة</u>	<u>الإمام</u>	<u>المكان</u>	<u>الشهر</u>	<u>السنة</u>
التكملة 1	غيث	حامد بن يحيى ق.ج.	قرطبة		قبل 206هـ/821م
المغرب لابن سعيد 1	غيث	أبو نجيح مسرور بن محمد قاضي ج.	قرطبة		207هـ/822م
ابن سعيد 1 - النباهي	غيث	سعيد بن سليمان القاضي			-206 238هـ/852م(232هـ-)
ترتيب المدارك 4	غيث	ع. بن محمد بن مرتنيل ص.ص.			-238 261هـ/886م(260هـ-)
ترتيب المدارك 5- ابن سعيد 1- ابن عذاري 2	غيث	أحمد بن محمد بن زياد ق.ج.		يناير - فبراير	274هـ/887م
ابن الفرضي 1		أحمد بن ع. الله بن خالد ص.ص.	قرطبة	مرات	275-279هـ
ابن حيان 5- ابن عذاري 2	غيث قليل	محمد بن عمر بن لبابة-أحمد بن أحمد بن زياد	الأندلس	ماي	302هـ/914م
ابن حيان 5	غيث	أحمد بن بقي بن مخلد ص.الصلاة.	الأندلس	مارس	314هـ/925م
ابن حيان 5- ابن عذاري 2	فشل	ص. الصلاة.	الأندلس	مارس	317هـ/926م
ابن حيان 5	غيث	محمد بن عبد الله بن عيسى ق.ج/ص.ص.	الأندلس	يناير - فبراير	330هـ/940م
ابن أبي زرع	غيث		الأندلس		342هـ/952م
أزهار الرياض 2- نفح 2- النباهي	غيث	منذر بن سعيد البلوطي ق.ج/ص.ص.	الأندلس		350هـ/960م
ابن حيان 6	غيث	محمد بن إسحاق ق.ج.- محمد بن يوسف ق. قبيرة	الأندلس	أبريل	362هـ/972م
ابن الفرضي 2- النباهي	فشل	محمد بن بيقى بن زرب ق.ج.	الأندلس		-379 381هـ/988- 990م
الصلة 1- الإحاطة / شقر 88	غيث	ملوك البجاني			قرب 400هـ/1009م

يبين الجدول أن الأندلس تتعرض لضربات جفاف كل ثمانية عشر سنة، وإذا أخذنا معطيات القرن الرابع الأكثر تكاملاً تصبح المدة حوالي اثنا عشر سنة فقط، وهي المدة التي تمنحها الدراسات المناخية المعاصرة للمناخ المتوسطي (ضربات دورية كل 8 أو 10 أو 12 سنة).

ويوضح الجدول أيضاً وقت الجفاف داخل السنة الواحدة، فشهور ينائير وفبرائر ومارس وأبريل وماي هي أوقات الجفاف في الأندلس، وهي توافق الفترة الشتوية التي تحتاج فيها الزراعات الشتوية وخاصة الحبوب للمياه. و بناء على ذلك فاختيار وقت الصلاة مرتبط بالسنة الفلاحية إذ يدفع تخوف المجتمع الذي يعتمد على فلاحه معاشية في معيشته من انعدام القوت وانتشار المجاعة إلى المطالبة بها، فيستجيب أولو الأمر بالدعوة إلى ذلك. وتؤكد المصادر هذا الارتباط بوضوح، فالوزان يقول عن المغرب المشابه للأندلس: "إذا لم ينزل مطر كذلك في أكتوبر فإنه لا يرجى أن يكون حصاد في تلك السنة. وإذا لم تمطر السماء في شهر أبريل كانت القمح منعدمة في البوادي"⁽²³⁾. كما أن انتشار المعرفة بالأنواء الممطرة تجعل الناس يترقبون وقتها لنزول الغيث أو يستسقون. ويحدد ابن البناء المراكشي تلك الأنواء الممطرة بقوله: "إذا نزل المطر في نوء الجبهة [13-19 فبرائر] والذراع [4-8 ينائير] والثريا [12-16 نونبر] والسماك [6-11 أبريل] تم خير العام وخصبه"⁽²⁴⁾، وكما يلاحظ فهذه الأنواء توافق فترة الشتاء وأيضاً وقت الجفاف كما تبينه أحداث الاستسقاء. وبذلك تتحدد مواعيد هذه العبادة بناء على حاجة الفلاح إلى المطر ومعرفة دقيقة بالأنواء الممطرة، وهذا ما يجعل الجفاف إما في بداية الموسم الفلاحي أو وسطه (274 و 330هـ) أو آخره (302 و 314 و 317 و 362هـ). وقد كان في الأندلس موظف حكومي يسمى "صاحب الحرث" يعلن عن وقت الحرث ويحث الفلاحين على الزراعة⁽²⁵⁾.

يظهر أيضاً أن كل السنين باستثناء ثلاث (302 و 317 و 379-380هـ) عرفت نزول المطر بعد الصلاة، وهذا يعني أن السنة من الناحية المناخية ليست جافة، ومع ذلك تصنفها المصادر في خانة سنوات المحل، فمثلاً ينقل ابن أبي زرع أن الناس استسقوا واستصحوا بعد مطر وابل وسيول عظيمة في سنة 342هـ/952م⁽²⁶⁾. ويمكن تفسير ذلك أولاً بالنفس المناقبي الذي يطبع أخبار الاستسقاء، وثانياً بنزول الغيث بعد فوات أوان الحرث كما حصل سنة 330هـ إذ تأخر حتى شهر فبرائر⁽²⁷⁾، أو ببس الزرع كما

كان الشأن سنة 302هـ إذ تأخر إلى ماي ف" تمسك به بعض الزرع وذهب الأكثر باستيلاء اليبس عليه، فصرحت السنة عن ذاتها واعتدى القحط شاملا الأندلس كلها"⁽²⁸⁾.
لقد سمحت أحداث الاستسقاء بتسليط الضوء على مشكل الجفاف الدوري الذي تعاني منه الأندلس على رأس كل إثني عشرة سنة تقريبا، كما وضحت أن مفهوم الجفاف لا يعني انعدام المطر بل فقط عدم نزوله بشكل منتظم ومتوافق مع السنة الفلاحية، ووضحت أيضا أن النظام المطري في الأندلس نظام شتوي وأن التساقطات غير منتظمة بين السنين وحتى داخل السنة الواحدة. وكل هذه الخصائص توافق المناخ المتوسطي الحالي لشبه الجزيرة الإيبيرية .

إلى جانب هذه الصلاة توجد صلاة أخرى لها علاقة بالمناخ وهي صلاة الصحو التي تقام من أجل طلب توقف الأمطار وزوال الغيوم لكثرتها وطول مدتها⁽²⁹⁾. ويمكن أن تساعدنا على معرفة السنوات المطيرة، لكن وللأسف لا توفر المصادر معلومات حولها ولم نحصل إلا على إشارة واحدة تخص سنة 342هـ / 952م، ويقول عنها ابن أبي زرع: "واستسقى الناس في هذه السنة واستصحوا، وجاءت السيول العظيمة بجميع الغرب"⁽³⁰⁾

2- خصائص مناخية من مصادر أخرى

تم تفريغ المعلومات المتوفرة في الجدول رقم 2، ويمكن أن نلاحظ مدى وفرة المعلومات مقارنة مع الجدول الأول وتكاملها، ولكن أيضا مدى التشابه في المعطيات باستثناء بعض الاختلافات البسيطة.

2- خصائص مناخ الأندلس الأموية

السنة	الشهر	الحدث	المكان	الآثار	المصدر
138هـ/756م	كل السنة	مطر وابل	الأندلس		ذكر سبب فتح الأندلس
147هـ/765م		جفاف	"		ذكر بلاد الأندلس وفضلها
148هـ/766م		فيضان	قرطبة	تخريب و قتل	" " " " "
161هـ/777م	حتى أبريل	جفاف	الأندلس		" " " " "
" "	أبريل	فيضان	قرطبة	تخطيم القنطرة	" " " " "
162هـ/778م	3 أيام	فيضان	قرطبة	تخطيم القنطرة	ابن عذاري ج2
177هـ/793م	السنة	مطر وابل	الأندلس		ذكر بلاد الأندلس وفضلها
182هـ/798م		فيضان	قرطبة	تخريب	ابن عذاري ج2
189هـ/805م		جفاف	الأندلس	مجاعة- موت	ذكر بلاد الأندلس وفضلها
197-		جفاف	الأندلس	مجاعة- موت	ذكر بلاد الأندلس وفضلها-ابن عذاري ج2 - المقري 1
199هـ/813م					
207هـ/822م		جفاف	الأندلس	مجاعة	ابن عذاري ج2- ابن حيان ج2-
222هـ/837م		فيضان	الأندلس		الخشني/أخبار
232هـ/847م		جفاف	الأندلس	مجاعة - جراد-	ابن حيان ج2- ابن عذاري ج2 -ابن الأثير 7 - ابن أبي زرع .
235هـ/850م	يناير	فيضان	الأندلس	تخريب و قتل	ابن حيان ج2- ابن عذاري ج2 - ذكر بلاد الأندلس
236هـ/850م		جفاف	كورة تدمير		ابن حيان ج2
244هـ/858م	السنة	جفاف	الأندلس	مجاعة	ابن عذاري ج2
260هـ/874م	السنة	جفاف	الأندلس	عدم الحرث - جوع - وباء - لصوصية	ابن حيان ج3- ابن عذاري ج2 - ابن أبي زرع - ابن القوطية -قضاة قرطبة
283-	الصيف	أمطار قوية - رياح قوية	الأندلس		ابن حيان ج3
284هـ/896م					
285هـ/898م		جفاف	الأندلس	مجاعة	ابن حيان ج3 -ابن عذاري ج2 - ابن أبي زرع
288هـ/901م		فيضان	قرطبة	تخطيم القنطرة	ابن عذاري ج2
290هـ/903م			قرطبة	تخطيم القنطرة	ابن عذاري ج2
296هـ/910م		جفاف	الأندلس	مجاعة- موت -	ابن حيان ج3 - الخشني /أخبار
302هـ/914م	كل السنة	جفاف	الأندلس	غلاء	ابن حيان ج5 - مدونة تاريخية
303هـ/912م	كل السنة	جفاف	الأندلس	جوع - موت - غلاء - صدقة - لصوصية	ابن حيان ج5 -ابن عذاري ج2 - مدونة تاريخية
307هـ/919م		جفاف - ريح قوية	الأندلس	موت - جوع	ذكر بلاد الأندلس و فضلها
314هـ/926م		جفاف	الأندلس		مدونة تاريخية

مدونة تاريخية - ابن حيان 5	غلاء	الأندلس	جفاف		928هـ/317م
ابن حيان 5	رخاء - استيراد	الأندلس	جفاف	كل السنة	936هـ/324م
ابن عذاري 2	تخريب القنطرة	قرطبة	فيضان		942هـ/331م
" " "	موت الحيوان - كسر أشجار - هدم بيوت	الأندلس	مطر وابل - رياح		943هـ/332م
" " "		قرطبة	رياح - برد		943هـ/333م
" " "		قرطبة	فيضان		944هـ/334م
ذكر بلاد الأندلس وفضلها	دمار - موت	الأندلس	برد وثلوج		948هـ/338م
" " " " "	مجاعة	الأندلس	جفاف		960هـ/350م
ابن عذاري 2	مجاعة	قرطبة	فيضان		961هـ/351م
ابن عذاري 2		قرطبة	جفاف		963هـ/353م
ذكر بلاد الأندلس وفضلها	وباء	الأندلس	مطر وابل		985هـ/375م
ابن أبي زرع - أعمال الأعلام 2 - ذكر بلاد الأندلس وفضلها	مجاعة - جراد	الأندلس	جفاف		379-381هـ/
ذكر بلاد الأندلس وفضلها		الأندلس	فيضان - ريح قوية	3 أشهر	992هـ/382م
" " " " "		الأندلس	رياح قوية		994هـ/385م
ابن عذاري 2	دمار - موت	قرطبة	مطر - فيضان متوالي	شهران	1008هـ/399م
ابن عذاري 2	دمار - موت	قرطبة	فيضان	3 أيام	1010هـ/401م

بيدأ تعليقنا على الجدول بالحديث عن ضربات الجفاف التي تتعرض لها الأندلس قاطبة أو قرطبة ونواحيها وحدها، وهي حالات نادرة جدا. وبالرغم من تأكيدنا على عدم اكتمال الصورة وغياب بعض المعطيات، فإننا سنعتمدها للاقتراب من الحقيقة. فأقصى مدة تفصل بين فترتي جفاف تصل إلى ست وعشرين سنة وأدناها إلى ثلاث سنوات بمعدل يصل إلى اثني عشرة سنة تقريبا، وهذا يعني أن الجفاف يتكرر كلما مرت هذه المدة وهو ما اتضح لنا أعلاه من خلال أحداث الاستسقاء.

ترتبط بالجفاف الفيضانات المتكررة، بحيث نجد أن كل جفاف تعقبه فيضانات في نفس السنة أو التي بعدها، حتى إنه أصبح بالإمكان أن نحدد أحدهما بوجود الآخر فقط. والجدول يؤكد أن الفيضان يحدث كل خمسة عشر سنة وهو معدل قريب من مثيله بالنسبة للجفاف، وربما؛ كان لغياب بعض المعلومات دور في هذا الاختلاف.

يتبين من الجدول أن الأندلس عرفت فترات باردة ومطيرة امتدت على مدى سنوات وهي: (161- 189 هـ) و(331-353 هـ) و(382-401 هـ)، وتميزت بأمطار طوفانية دائمة وفيضانات وثلوج ورياح باردة، وقد يكون هذا الوضع مرتبطا بسيادة

الرياح القطبية واستقرار الجبهة القطبية جنوب أوروبا. وفترات جافة شملت (189-220 هـ) و(236-283 هـ) و(290-331 هـ) ترتبط بسيادة الكتل المدارية الحارة. ودون أن نؤمن بحتمية تأثير الظروف الطبيعية في التطور السياسي نقول أن النوع الأول وافق فترات استقرار في الأندلس بينما وافق الثاني فترات اضطرابات وقلق.

يوفر الجدول أيضا معلومات حول بعض السنوات المطيرة على امتداد كل شهورها بما فيها الصيفية مثل سنين: 177 و 283 و 284، وسنين رياح دائمة وقوية مثل: 283 و 284 و 307 و 382 و 385 هـ.

في الأخير نستنتج أن مناخ الأندلس غير مستقر ومتقلب بين السنين، بحيث يعرف فترات جفاف وفيضان دورية كل اثني عشر سنة تقريبا. كما يعرف فترات مطيرة ومعتدلة وأخرى جافة وحارة.

3- خصائص مناخ الأندلس

تسمح النتائج السابقة بأن نستنتج ما يلي :

- النظام المطري في الأندلس شتوي حيث تنزل الأمطار في نهاية الخريف و خلال الشتاء وبداية الربيع .
- عدم توازن التساقطات السنوي إذ قد تنزل باستمرار أو في بداية الموسم أو وسطه أو آخره مما يؤثر على السنة الفلاحية سلبا.
- عدم توازن التساقطات بين السنين .
- تعرض الأندلس لضربات جفاف دورية تتكرر كل اثني عشر سنة. وتنتهي كل فترة جفاف بأمطار طوفانية وفيضانات قوية تترك آثارا وخيمة على الحياة .
- تتداول الأندلس فترات رطوبة ومطيرة وأخرى جافة وحارة تدوم فترات غير منتظمة ولا مستقرة .

إن كل الخصائص التي عرضناها واستنتجناها إضافة إلى موقع الأندلس الجغرافي تؤكد أننا أمام مناخ متوسطي لا يختلف كثيرا عما هو سائد حاليا، وبذلك تكون مصادرنا بالرغم من فقرها قد قربتنا من بعض خصائص هذا المناخ

4- آثار المناخ على الأندلس

إن خاصية التقلب والحدة وعدم الاستقرار التي تميز مناخ الأندلس (المناخ المتوسطي) تجعل آثاره على الحياة الطبيعية والبشرية شديدة وقوية. وسنعمل على تحديد بعضها حسب الظاهر.

إن ضربات الجفاف المتكررة تعد من أكثر الظواهر تأثيراً في البلاد، فبمجرد ما يظهر أثره بعجز الفلاحين عن الحرث أو ضياع المحصول بالعطش تبدأ الحبوب بالندرة في الأسواق إلى أن تختفي تماماً، فترتفع الأسعار بشكل قوي، ويكفي لإظهار خطورة ذلك أن نذكر ما وصلت إليه سنة 303هـ/915م فقد "بلغ قفيز القمح بكيل قرطبة ثلاثة دنانير درهم دخل أربعين" أما في الثغر الأعلى (سرقسطة) فوصل " قفيز القمح اثني عشر درهما فضة"⁽³¹⁾. وتتكرر هذه الحالة في كل أزمة باستثناء سنة 324هـ التي لم تعرف ارتفاعاً بفضل استيراد الحبوب من العدو المغربية⁽³²⁾. وعادة ما يقترن بالجفاف انتشار الجراد الذي يلحس الأرض ويحرم الناس حتى من الأعشاب الطبيعية⁽³³⁾. ويتبع ارتفاع السعر انتشار المجاعة والوباء في أوساط الفقراء فيكثر الموتى لحد العجز عن دفنهم⁽³⁴⁾. ويتدخل السلطان وأهل البر والإحسان للتخفيف من المشكل بإفشاء الصدقات. ففي جفاف 197هـ " تصرف الحكم [الربضي] بأموال جلييلة في الضعفاء والمساكين وعابر السبيل"⁽³⁵⁾ و" أكثر فيها مواساة أهل الحاجات"⁽³⁶⁾، وفي عام 303هـ "كثرت صدقات الناصر لدين الله في هذه الأزمة على المساكين وأهل الفاقة وعلى المتعفين عن المسألة وصدقات أهل الحسبة من رجاله المؤتسبين به"⁽³⁷⁾، وفي عام 350هـ أمر الحكم المستنصر بتوزيع اثني عشر ألف خبزة يومياً⁽³⁸⁾، وفي عام 353هـ "تكفل الحكم بضعفائها ومساكينها بما يقيم أرماقهم، وأجرى نفقاته عليهم بكل ربض من أرباض قرطبة وبالزهراء"⁽³⁹⁾، وفي عام 379-380هـ كان المنصور العامري يفرق كل يوم اثنين وعشرين ألف خبزة على الضعفاء كما أسقط الأعشار وتكفل بدفن الموتى⁽⁴⁰⁾. وبالرغم من انتشار المساعدات فلا تكفي وكثيراً ما تقتصر على قرطبة، لذلك تشتد الحاجة في الأقاليم وتنتشر اللصوصية كما حصل سنة 303هـ حيث كان الجياع "لا يفترون عن العدوان على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعيشة وجالبي الميرة"⁽⁴¹⁾، وتواجه هذه العمليات بشدة بالقتل والصلب والتعذيب⁽⁴²⁾. وتختار فئة أخرى مغادرة الأقاليم الجافة إلى الخصبة أو إلى المغرب. ففي عام 297هـ/909م "عبر كثير

منهم البحر إلى أرض العدو"⁽⁴³⁾. ويؤثر الجفاف أيضا على مشاريع الدولة ويتعطل الكثير منها ، وأولها توقف الجباية إما بالتنازل عنها أو العجز عن جمعها⁽⁴⁴⁾، وثانيها الجهاد الذي يتوقف لعدم قدرة الناس على تجهيز أنفسهم⁽⁴⁵⁾. ويكفي لإظهار خطورته بالنسبة للدولة أن نعيد الملاحظة التي سبق لنا الحديث عنها وهي توافق فترات الجفاف مع فترات الاضطراب في الأندلس خلال هذه الفترة.

لا تقل آثار الفيضان خطورة على البلاد، فأول النتائج تظهر بتدمير البنيات التحتية وخاصة القناطر على الأنهار الكبرى وعلى رأسها النهر الكبير عند قرطبة وإشبيلية وهو ما يتكرر في كل الفيضانات كما يظهر الجدول. ويدمر أيضا كل ما يجده في طريقه، ففي سنة 148هـ/765م "كان سيل عظيم في قرطبة حمل الدور والناس والدواب"⁽⁴⁶⁾، وفي عام 182هـ/798م "ذهب بربض القنطرة [قرطبة] ولم يبق فيه دارا إلا هدمها، حاشى غرفة عون العطار، وبلغ السيل شقنדה"⁽⁴⁷⁾، وفي عام 235هـ/849م دمر الوادي الكبير في كورة إشبيلية ست عشرة قرية وذهب ببعض سكانها وأمتعتهم وبهائمهم وحطم وادي شنيل القنطرة عند استجة وذهب بالأرحاء وحمل وادي تاجه ثمان عشرة قرية وصار عرضه ثلاثين ميلا⁽⁴⁸⁾، وفي عام 401هـ/1010م هدم النهر من أرباض قرطبة نحو ألفي دار وما لا يحصى من المساجد والقناطر وأكثر السور كما مات فيه نحو خمسة آلاف شخص⁽⁴⁹⁾. وعلينا أن نتصور حجم الخسائر في ظل ضعف البنيات وندرة وسائل الإنقاذ. ويضاف إلى هذه الخسائر تجريف التربة واقتلاع الأشجار والأحياء التي تموت أو تفقد شروط عيشها. وتخلف باقي الظواهر خسائر كبيرة، ففي سنة 332 هـ " هبت ريح عاصف ردفنتها أخرى، فاقتلع كثيرا من شجر الزيتون والتين وغيرها من الأشجار والنخيل، وأطار كثيرا من قرميد السقف "ورافقها مطر وابل وبرد غليظ " فقتل كثيرا من الوحش والطيور والمواشي، وأتلف ما أصاب من الزرع وأساء التأثير"⁽⁵⁰⁾، ونزل برد غليظ بلغ وزنه رطلا قتل الطير والوحوش البهائم وكسر الأشجار وقتل بعض الناس عام 338 هـ⁽⁵¹⁾. هكذا يلاحظ أن مناخ الأندلس يخلف خسائر كثيرة على البيئة الطبيعية والبشرية بالجفاف والفيضانات والأمطار الطوفانية والبرد الغليظ والرياح الهوجاء الباردة والحارة.

إن المعطيات التي توفرت وبالرغم من عدم اكتمالها قد قربتنا من خصائص مناخ الأندلس في عهد الأمويين، وأهم خاصية ميزته هو طابعه الانتقالي بين المناخين المعتدل والحار مما يطبعه بالتقلب وعدم الاستقرار والحدة والتطرف التي تعكسها الخسائر الكبيرة التي يخلفها.

الهوامش

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج 14، ص.393.
- 2- ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، كانو، ص.52.
- 3- عياض، ترتيب المدارك، مطبعة فضالة، المحمدية، 1968، ج3، ص.117 ومذاهب الحكام، ص.305 والخشني، قضاة قرطبة، مكتبة المثني، بغداد، 1953، ص.46.
- 4- النباهي، المرقبة العليا، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948، ص.70-71 والمقري، أزهار الرياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ج2، ص.279-280.
- 5- ابن حيان، المقتبس، المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد، 1979، ج5، ص.352 وابن عذاري، البيان المغرب، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج2، ص.199.
- 6- ترتيب المدارك، ج3، ص.117 وقضاة قرطبة، ص.46.
- 7- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.251-252.
- 8- نفسه، ص.476-478.
- 9- النباهي، المصدر السابق، ص.78-79 وابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، مكتب نشر الثقافة الأندلسية، القاهرة، 1954، ج2، ص.97.
- 10- ابن حيان، المصدر السابق، ص.102-103.
- 11- النباهي، المصدر السابق، ص.70-71.
- 12- نفسه، ص.78-79.
- 13- ترتيب المدارك، ج5، ص.190.
- 14- النباهي، المصدر السابق، ص.79.
- 15- ابن عسكر، أعلام مالقة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص.344 وابن الأبار، تحفة القادم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص.19.

كتب ابن الطراوة في ذلك فقال :

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت & بحرية يبدو لها رشح

- حتى إذا اصطفوا لدعوتهم & و بدا لأعينهم بها نضح
 كشف الغطاء إجابة لهم & فكأنما خرجوا ليستصحوا
- 16- ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، 1972، ص.64.
- 17- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، دار المعارف، مصر، ج1، ص.146-147 وابن الأبار،
 التكملة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1955، ج1، ص.198.
- 18- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص.352.
- 19- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص.750.
- 20- بيوتات فاس ، ص.64 .
- 21- المقري، نفع الطيب، دار صادر، بيروت، ج2، ص.9 .
- 22- ابن الخطيب، الإحاطة، تحقيق شقور، ص.39-40 والتادلي، التشوف، كلية الآداب، الرباط،
 1984، ص.217-218 و 254-255.
- 23- الوزان، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص.81.
- 24- ابن البناء المراكشي، رسالة في الأنواء، مكتبة لاروز، باريس، 1948، ص.2.
- 25- ابن عبدون، كتاب الحسبة، Journal Asiatique أبريل- يونيو 1934، ص.195.
- 26- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، دار المنصور، الرباط، 1972، ص.100.
- 27- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.478.
- 28- نفسه، ص.103.
- 29- ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص.452.
- 30- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.100.
- 31- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.109 و 124 وابن عذاري، المصدر السابق، ج2،
 ص.167-768.
- 32- ابن حيان، المرجع السابق، ج5، ص.384.
- 33- نفسه، ج2، ص.143 و 225 وابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص.89 وابن أبي زرع،
 المصدر السابق، ص.115.
- 34- المقتبس، ج5، ص.124 والبيان المغرب، ج2، ص.73 و 8 ومجهول، ذكر بلاد الأندلس
 وفضلها، مخطوط الخزانة الملكية، الرباط، رقم 558، ص.182.
- 35- ذكر بلاد الأندلس، ص.155.
- 36- نفع الطيب، ج1، ص.319.
- 37- المقتبس، ج5، ص.109-110.
- 38- ذكر بلاد الأندلس، ص.201.
- 39- البيان المغرب، ج2، ص.236.
- 40- ذكر بلاد الأندلس، ص.212-213.
- 41- المقتبس، ج5، ص.110.
- 42- قضاة قرطبة، ص.151.
- 43- المقتبس، المكتبة الشرقية، باريس، 1937، ج3، ص.143.

- 44- ذكر بلاد الأندلس، ص. 212-213 وقضاة قرطبة، ص. 151 وابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، دار النشر للجامعيين، ص. 106-107.
- 45- المقتبس، ج5، ص. 110.
- 46- ذكر بلاد الأندلس، ص. 134.
- 47- البيان المغرب، ج2، ص. 70.
- 48- المقتبس، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971، ج2، ص. 146 والبيان المغرب، ج2، ص. 89.
- 49- البيان المغرب، ج3، ص. 105.
- 50- البيان المغرب، ج2، ص. 211.
- 51- ذكر بلاد الأندلس، ص. 195.

ملخص البحث

تنصب المداخلة على قضية بيئية محورية، إنها قضية المناخ في الأندلس في ظل الحكم الأموي (138-422هـ/756-1031 م) . وقد انطلقت الدراسة من المعطيات التي توفرها أخبار صلاة الاستسقاء و كذلك من المعلومات التي حفظتها الحوليات التاريخية. وأظهر تحليلها أن الأندلس كانت عرضة لأزمات جفاف دورية تكاد تتكرر على رأس كل عقد من الزمان تعقبها فترة أمطار طوفانية وفيضانات مدمرة، وكشفت عن النظام المطري للبلاد بحيث تنزل التساقطات في الخريف والشتاء وبداية الربيع (نونبر- دجنبر- يناير- فبراير - مارس - أبريل - ماي)، كما أعطتنا معلومات حول بعض السنين الباردة وكذلك فصول الصيف المطيرة و السنين التي عرفت رياحا قوية على مدى فترة طويلة من السنة . واتضح من هذه المميزات المناخية الطابع الانتقالي لمناخ الأندلس؛ الواقعة بين المنطقتين المعتدلة والمدارية مما يجعل خصائص المناخ رهينة بالتيارات الأقوى تأثيرا، و كذلك عدم الاستقرار والتقلب الذي يميزه. وتتبعنا في الأخير الآثار التي يخلقها هذا التقلب على حياة السكان. فالجفاف يقترن بندرة الحنطة وارتفاع أسعارها وانتشار المجاعة و الوباء والموت واللصوصية مما يحرك المجتمع لبذل الصدقات والإحسان لذوي الحاجات، ولكن أيضا للردع وللثورة. أما الفيضان فيجرف التربة ويقتلع الأشجار والمزروعات ويدمر القرى ويذهب بالأرواح منهيًا العمل المدمر للبيئة الذي بدأه الجفاف.

مناخ متوسطي في كل خصائصه التي لا تختلف عما هو سائد حاليا .